ولاحاجة في وجه الاستيناف الى تقدير مبتدا قبل الفعل بل يجعل الفعل
معطوفا على مجموع الجملة من قوله الم نهلك ويدل على هذا الاستيناف
قراة عبد الله ثم سنتبعهم الاخرين بسين التنفيس وقرا الاعرج
والعباس عن ابي عمرو بتسكينها وفيها وجهان احدهما انه تسكين للمرفوع
فهو مستانف كالمرفوع لفظا والثاني انه معطوف على مجزوم والمعنى
بالاخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد
وثمود قال ابن الخطيب وهذا القول ضعيف لان قوله تعالى نتبعهم
مضارع وهو للحال والاستقبال ولا يتناول الماضي وانما المراد بالاولين
جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ثم نتبعهم
الاخرين على الاستيناف اي سنفعل ذلك ونتبع الاول للاخر ويدل على
الاستيناف قراة عبد الله فان قيل قراة الجزم في نتبعهم يدل
على الاشتراك وحينئذ يكون المراد به الماضي لا المستقبل قلنا لو كان
المراد هو الماضي لوقع التنافي بين القراتين وهو غير جائز فعلمنا ان
تسكين العين ليس للجزم بل للتخفيف قوله كذلك نفعل اي مثل ذلك
الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم فصل المقصود من هذه الاية
تخويف الكفار وتحذيرهم من الكفر اخبر عن اهلاك الكفار من الامم الماضين
من لدن ادم عليه الصلوة والسلام الى محمد عليه الصلوة والسلام ثم
نتبعهم الاخرين اي يلحق الاخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل
ما فعلنا بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك ثم
قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين كانه تعالى يقول اما الدنيا فحاصلهم
الهلاك واما الاخرة فالعذاب الشديد واليه الاشارة بقوله تعالى
خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فان قيل المراد من قوله
الم نهلك الاولين هو مطلق الاماتة او الاماتة بالعذاب
فان كان المراد مطلق الاماتة لم يكن ذلك تخويفا للكفار لان ذلك معلوم
حاصل للمومن والكافر فلا يكون تخويفا للكفار وان كانت الاماتة بالعذاب
فقوله تعالى ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين يقتضي ان
يكون فعل بكفار قريش مثل ذلك ومعلوم ان ذلك لم يوجد وايضا
فقد قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فالجواب
قال ابن الخطيب لم لا يجوز ان يكون المراد من الاهلاك معنى ثالث
وهو الاماتة المستعقبة للذم واللعن فكانه قيل اولئك المتقدمين
لحرصهم على الدنيا والعقوبة عادوا الانبيا وخاصموهم ثم ماتوا ففاتهم
الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة في الاخرة دايما سرمدا فكذا
يكون حال الكفار الموجودين وهذا من اعظم وجوه الزجر قوله
الم نخلقكم من ما مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وهذا نوع
اخر من تخويف الكفار وهو من وجهين الاول انه تعالى ذكرهم عظيم
انعامه عليهم وكلما كانت نعمه عليهم اكثر كانت جنايتهم في حقه
افحش واقبح فيكون العقاب اعظم فلهذا قال جل ذكره عقيب هذا
الانعام ويل يومئذ للمكذبين وهذه الاية نظير قوله تعالى ثم
جعل نسله من ما مهين فجعلناه في قرار مكين اي مكان حريز وهو
الرحم الى قدر معلوم قال مجاهد الى ان يصور وقيل الى وقت الولادة
كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله ويعلم ما في الارحام
قوله فقدرنا فنعم القادرون قرا نافع والكسائي بالتشديد من
التقدير وهو موافق لقوله من نطفة خلقه فقدره والباقون بالتخفيف

من المقدرة ويدل عليه فنعم القادرون ويجوز ان يكون المعنى على
القراة الاولى فنعم المقدرون على تقديره وان جعلت القادرون
بمعنى المقدرون كان جمعا بين اللفظين ومعناهما واحد ومنه
قوله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا وقول الاعشى
وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
وقال الكسائي والفرا هما لغتان بمعنى قال القتبي قدرنا بمعنى قدرنا
مشددة كما تقول قدرت كذا وقدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اذا غم عليكم فاقدروا له اي قدروا له المسير والمنازل وقال محمد
ابن الجهم عن الفرا انه ذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه وتخفيفها
قال لا يبعد ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا لان
العرب تقول قدر عليه الموت وقدر قال تعالى نحن قدرنا بينكم
الموت قرئ بالتخفيف والتشديد وقدر عليه رزقه وقدر
واحتج الذين خففوا فقالوا لو كان كذلك لكانت فنعم المقدرون
قال الفرا والعرب تجمع بين اللغتين واستدل بقوله فمهل
الكافرين الاية وذكر بيت الاعشى المتقدم وقيل المعنى قدرنا
قصيرا وطويلا ونحوه وعن ابن عباس قدرنا ملكنا قال
المهدوي وهذا التفسير اشبه بقراة التخفيف قوله
الم نجعل الارض كفاتا هذا هو النوع الرابع من تخويف الكفار
لانه تعالى ذكرهم في الاية المتقدمة بالنعم التي له عليهم في الانفس
ثم قال في اخرها ويل يومئذ للمكذبين لان النعم كلما كانت اكثر
كانت الجناية اقبح وكان استحقاق الذم اشد وذكر في هذه الاية
النعم التي في الافاق لانها كالاصل للنعم التي في الانفس فانه لولا الحياة
والسمع والبصر والاعضا السليمة لما كان الانتفاع بشي من المخلوقات
ممكنا والله اعلم وانما قدم الارض لانها اقرب الاشيا الينا من
الامور الخارجة والكفات اسم للوعا الذي يكفت فيه اي يجمع قاله
ابو عبيدة يقال كفته يكفته اي جمعه وضمه وفي الحديث
اكفتوا صبيانكم وقال الصمصامة بن الطرماح
فانت اليوم فوق الارض حيا وانت غدا تضمك في الكفات
وقيل الكفات اسم لما يكفت كالغمام والجماع يقال هذا الباب
جماع الابواب والمعنى نجعل الارض ضامة تضم الاحيا على ظهرها والاموات
في بطنها والكفت الضم والجمع وانشد سيبويه
كرام حين تنكفت الافاعي الى احجارهن من الصقيع
وروي عن ربيعة في النباش قال يقطع يده فقيل له لم فقال
ان الله تعالى يقول الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا فالارض
حرز وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانه مقبرة تضم الموتى
وتضم الاحيا الى منازلهم والاموات في قبورهم وايضا استقرار الناس
على وجه الارض ثم اضطجاعهم عليها انضمامهم اليها وقال الاخفش
وقال ابو عبيدة ومجاهد في احد قوليه الاحيا والاموات ترجع الى
الارض اي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو
الذي لا ينبت والميت وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا
ينبت وفي انتصاب كفاتا احيا وامواتا وجهان احدهما انه مفعول
ثان لنجعل لانها للتبعيض والثاني انه منصوب على الحال من الارض
والمفعول الثاني احيا وامواتا بمعنى الم نصيرها احيا بالنبات واموتا